كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ، رئيس جامعة القدّيس يوسف في بيروت، في حفل تسليم ميداليّة الشرف لـ ١٤ معلّمًا تميّزوا في حياتهم المهنيّة ووصلوا لسنّ التقاعد، وميداليّة الاستحقاق لـ ٨ من أعضاء هيئة الموظّفين الذين تخطّوا ٣٠ عامًا من الخدمة أو الذين وصلوا إلى سنّ التقاعد، في ١٦ تمّوز (يوليو) ٢٠٢٠، الساعة التاسعة صباحًا في حديقة رئاسة الجامعة.

كما يتبيّن لكم، إنّ التقاليد الجيّدة التي تلتزم بها الجامعة من أجل أفراد أسرتها الطيّبين تضعضعت وتمّ التعديل فيها. إنّ جائحة Covid 19 من ناحية والأزمة الاقتصاديّة الماليّة والاجتماعيّة من ناحية أخرى، بصرف النظر عن القلق والحزن، تلزمنا بتعديل عاداتنا المفعمة بالمعاني عندما تكرّم الجامعة من بَناها ومن خدمها بولاء ووفاء، تلك العادات المفعمة بالاحترام لذكرى أولئك الذين صنعوا تاريخ رسالة التعليم وتنشئة الأجيال. لكنّ النظرة لا تزال موجودة، والقلب مفعم بالامتنان وبإعجاب كلّ واحد منكم، أنتم الذين تسيرون على الطريق التي تتخطّى مرحلة عمريّة معيّنة أو تلقون التقدير أو أمضيتم ربع قرن تبذلون أنفسكم بالتفاني والعمل القائم على النباهة والأخلاق.

يصعب عليّ عدم ذكر الأسماء في هذا اليوم الذي يجمعنا هنا بالذات في مقرّ رئاسة الجامعة. بالتأكيد، سيتمّ ذكرها وسيتمّ تقديم سير ذاتيّة مكتوبة تشيد ببراعة أصحابها. أتوقّف لحظة عند فئتين. كيف لي ألا أكرّم شخصين تركا أثرًا كبيرًا على حياة التنظيم المركزيّ في جامعة القدّيس يوسف في بيروت، فأذكر مباشرةً وفاء نادر وفادي أبو شقرا الذين بذلا قصارى جهدهما لصالح الأمّ المربيّة، الأمّ الحاضنة، حتّى تكون دائمًا شجاعة وفي خدمة عائلتها. سيكون امتناننا دائمًا نسبيًّا تجاه ما بذلتماه من ذاتكما لتؤدّيا خدمتكما. أنتقل إلى ناجي إدلبي، أبونا ناجي، الذي تولّى

لسنوات شؤون مركز التراث العربيّ المسيحيّ للتوثيق والبحث والنشر (CEDRAC) بعلم وعاطفة ومنذ بضع سنوات تولّى شؤون مركز الشرق المسيحيّ للبحوث والمنشورات (CERPOC). لا يسعني إلا أن أشكركم على هذا المسار الرائع الذي تحقّق بصعوبة. لم نكن بالطبع في مكاتب مجاورة، لكنّ نجلا سلامة تستحقّ منّي لفتة لأخبرها عن مدى تقدير شخصها خلال السنوات العديدة التي قضتها في خدمة كليّة الحقوق. أنا لا أذكر الآخرين، لكن اعلموا أنّكم جميعًا في قلبي ولكم في روح هذا المنزل منزلة، هذه المؤسّسة التي كانت تعرف دائمًا كيف تحتضن أبناءها وتجمعهم.

ليس من دواعي الواجب فقط أن أتوجّه إلى مؤسّسة داخل المؤسّسة، الحاضرة بشكلٍ مكثّف اليوم في هذا الحفل، أعني كليّة طبّ الأسنان التي تحتفل بالذكرى المئويّة الأولى لتأسيسها كونها نشأت مع دولة لبنان الكبير للاعتناء بالأسنان وقد قامت بذلك بشكلٍ جيّد ولعقود من الزمن. كان هناك الكثير من الأحداث التي تمّ التخطيط لها للاحتفال بالذكرى المئويّة، لكنّ الأزمتين أوقفتا تحقيق ما تمّ التخطيط له والذي يمكن تنفيذه لاحقًا. ولكن اليوم، من خلال تكريم ما يقارب اثني عشر من أساتذة الكليّة السابقين، فإنّنا نكرّم تاريخًا كاملًا من الترقيات العظيمة لجرّاحي أسنان تركوا بصماتهم وحقّقوا براعة لصالح الآلاف والآلاف من المرضى. آمل أن يكون هذا مجرّد تأجيل للمناسبات الموعودة لأنّ اليوبيل يحوّلنا فقط نحو بناء المستقبل ومستقبل أكيد.

يقودني هذا الأمر إلى إنهاء كلمة المناسبة هذه بتحذير : أنا لا أشير فقط إلى جامعة القدّيس يوسف في بيروت وتاريخها في خدمة هذا البلد والمنطقة، ولكنّي أشير أيضًا إلى التعليم العالي الحرّ والمستقلّ والكفوء والمدرَّب لمواردنا البشريّة المثقّفة، وهي رأسمال هذا البلد بامتياز، وأشير إلى أنّ الجامعة معرّضة ببساطة لخطر يهدّد وجودها. المشكلة ليست مسألة ميزانيّة أو تسديد أقساط دراسيّة فحسب بل هي تتعلّق بفرض إرادة الحصار والاختناق. لسوء الحظّ، هناك أصوات

غير عقلانيّة على مستوى أولئك الذين يحكمون هذا البلد، ينظرون إلى جامعاتنا التاريخيّة والإرساليّة، بالمعنى المزدوج للمصطلح، كما لو كانت طفيليّات يجب القضاء عليها. سمحت هذه الحكومة وأسلافها ولفترة طويلة بإنبات مؤسّسات عليا لا تسعى إلا إلى الربح السريع والمكاسب الفوريّة، على الرغم من تحذيراتنا وتحذيرات أسلافنا، الأمر الذي أضرّ بسمعة التعليم العالي اللّبنانيّ. العديد من طلبات البرامج، بما في ذلك برامجنا، تتكدّس لسنوات في أدراج الوزارة من دون أن تلقى استجابة أو تضيع، فليس لدى الوزارة مدير عامّ مثبّت، ولا مشاريع قانونيّة حول الاعتماد وضمان الجودة، وحول التعليم عبر الإنترنت، وإعادة هيكلة التعليم العالي، وهي كلّها مشاريع مهمّشة على الرغم من صرخاتنا المتكرّرة. ما يمكنني أن أؤكّده لكم، وبدعمكم ودعم خرّيجينا وكذلك طلابنا، ودعم الجامعات الأخرى التي تحترم نفسها، نحن لا نستسلم وسوف يتمّ الاستماع إلى صوتنا. مهمّتنا تكمن في إعادة بناء لبنان الكبير هذا على أسس متينة وعلى المهارات المهنيّة والأخلاقيّة، إنّه شأننا ولن نتردّد في المضي قُدُمًا كمجموعة من الجامعات اللّبنانيّة التي تتمثّل مهمّتها في خدمة وطن بأكمله.

أنا لا أقول لكم مبروك فقط لأنّكم أمضيتم ربع القرن أو قرنًا في العمل لأنّكم، بشكلٍ أو بآخر، لا تزالون أعضاء أسرتنا. أنا لا أقول لكم فقط مع السلامة، أيّها الأصدقاء الأعزّاء، ولكنّي أعبّر لكم عن امتناننا لوجود لا يمكن أن يمحوه أي قرن ! لا تنسوا أن تعتنوا بصحّتكم.